الأنباء
الاحد 26 فبراير 2017

أ.د.ميمونة خليفة الصباح تسلط الضوء على إنجازات جيشنا الباسل ومعاركه لتبديد الاعتقاد باحتلال الكويت دون مقاومة جيشها

الكويت لم تحنِ رأسها للغزاة ولا خفضت جبينها للمعتدين

فرحة تحرير الكويت .. لحظة خالدة في ذاكرة الوطن

أ.د. ميمونة خليفة الصباح

معركة «جال اللياح»

خاضتها قوات اللواء السادس في مقابل قوات العدو التي تقدر بفرقة مشاة ميكانيكية وفرقة مدرعة، حيث صدرت الأوامر في الساعة 3,15 بإرسال قوة الى منطقة جسر بوبيان ومنطقة ام العيش للدفاع عنهما، وتم إرسال فصيل دبابات لاحتلال منطقة تلال قوينيص وفصيل ميكانيكي الى منطقة محطة ام العيش، ولا أود الدخول في تفصيلات المعركة ويكفي ان أذكر ان خسائر العدو كانت عبارة عن 5 دبابات محملة بالجنود و3 باصات محملة بجنود المشاة وأعداد غير مؤكدة من الآليات والناقلات المدرعة والأفراد.

معركة شرق الجهراء

وتصدى فيها اللواء 80 ممثلا بسرية مشاة وسرية مدرعات صلاح الدين من قوات اللواء لقوات العدو حين صدر اليه الأمر الإنذاري الساعة 4,30 فجر 2 اغسطس 1990 للقيام بمهمة إسناد قوات المغاوير المشتبكة مع القوات العراقية عند المطلاع وقبل الوصول الى المنطقة المحددة كانت القوات العراقية قد اجتازتها، وفي الساعة 4,45 تم الاشتباك مع القوات الغازية عند جسر الجهراء الشمالي الشرقي واستمر الاشتباك مع العدو حتى تم إيقافه لمدة ساعة على الجسر المذكور،
فقام العدو بهجوم مضاد على مواقع تمركز قوات اللواء 80 بحجم لواء مدرع، وعلى الرغم من صغر حجم القوة المدافعة وكثافة قوات العدو استطاع اللواء 80 ان يطيل معركته مع العدو ليعرقل تقدمه اطول وقت ممكن باستخدام اسلوب الكر والفر حتى شملت معركة اللواء بالاضافة الى جسور الجهراء الشمالية الشرقية والشرقية كلا من منطقة شرق الجهراء السكنية ومنطقة السكراب ومعسكرات المشاغل المتوسطة الشمالية وفي الساعة 11,000 نفذت قوات اللواء معركة قطع التماس مع العدو، والانسحاب لاعادة التنظيم واختيار مواقع افضل لمعاودة التصدي للعدو الا ان كثافة الهجوم العراقي ازادت وانقطع الاتصال بالقيادة وحوصر الموقع من كل جانب وقد استشهد من اللواء الثمانين ستة افراد وضابط وأسرت مجموعة من الافراد والضباط مع قائد اللواء واحرقت ست مدرعات صلاح الدين بينما قدرت خسائر العدو المنظورة بثلاثة باصات محملة بالجنود احرقت على جسر الجهراء الشمالي الشرقي و4 آليات خفيفة، كما احرقت 6 دبابات على جر الجهراء الشرقي وقتل واصيب 35 جنديا في عمارات الجهراء الشرقية وأصيب اعداد من الدبابات والمدرعات والآليات والافراد غير المنظورة.

معركة «جال الأطراف» اللواء 35

تمركزت قوات اللواء في الساعة 4,45 بعد فجر 2 أغسطس في مواقع دفاعية عند منطقة «غار» جنوب «جال الاطراف» شمال الجهراء، وتم الاشتباك مع قوات العدو المتقدمة على محور المطلاع، الاطراف المتجهة الى الطريق الدائري السادس، واستمرت تلك المعركة ست ساعات تكبد العدو خلالها خسائر فادحة مما اجبره على الانسحاب واستمرار القصف المدفعي وكانت خسائره حتى 1,00 (25) دبابة محملة بالجنود و7 باصات محملة بالجنود المشاة و8 مدرعات و3 آليات محملة بالذخيرة واعداد غير مؤكدة من الافراد والمعدات، وفي تمام الساعة 1,00 من نفس اليوم ظهرت قوات العدو تتحرك على محور السالمي ـ الاطراف، الجهراء لنجدة القوات على محور المطلاع ـ الأطراف، فتم تغيير مواجهة الانسحاب ومع بداية الاشتباك اجبرت قوات العدو على التوقف وتدمير جزء منها واجبارها على الرجوع الساعة 1,30 وكانت خسائرها تدمير 6 عربات بي ام بي وتدمير دبابتين و72 سيارة اسعاف، وتدمير لاند كروز بي.تي.آر وجرح 39 جنديا وضابط وقتل 32 جنديا وضابط واستمرت مدفعية العدو في الرماية بعد تجمعه عند الاطراف شرق الفريدة واضطر اللواء الكويتي الى الانسحاب تخلصا من الحصار الناري واتخذ موقعا افضل للتصدي للعدو، وكانت خسائر اللواء 10 من العسكريين وتدمير 3 دبابات، 2 آلية وجرح 35 عسكرياً، ولكن استمرار القصف المدفعي على اللواء اثناء انسحابه الى المنطقة الجنوبية اضطر اللواء الى دخول الاراضي السعودية لاعادة التنظيم.

معركة جال المطلاع

في الساعة الثانية من يوم 2 أغسطس 1990م كلفت كتيبة المغاوير بمهمة حماية محطة ام العيش، فقامت سرية مغاوير بواجب حماية المحطة حتى وصلت سرية مشاة ميكانيكية من اللواء السادس وانسحبت لتقوم بتنفيذ المهمة الجديدة وهي السيطرة على المطلاع وفي الساعة 4,00 احتل فصيلا مغاوير مواقع كمائن على طريق المطلاع، وتم الاشتباك مع قوات العدو المتقدمة واحدثا خسائر كبيرة وخاصة بأفراد المشاة المحمولين على الدبابات والباصات حيث نجح المغاوير في الكمائن وسرعة تغيير الواقع والاغارة، وساعدتهم جغرافية ارض المطلاع في المراحل الأولى الا انها في الوقت ذاته حصرت ساحة العمل ما ادى الى محاصرتهم بنيران المدفعية فانسحبوا الى معسكر المغاوير لاعادة التنظيم واسعاف الجرحى، وفي هذه الاثناء حوصر المعسكر ودارت اشتباكات بين الطرفين استطاع خلالها بعضهم الانسحاب الى خارج المعسكر واسر من لم يتمكن من الانسحاب وكانت خسائر العدو في المعركة التي استمرت اربع ساعات ما لا يقل عن 100 قتيل وجريح، واعطب للعدو خمسة باصات محملة بالجنود اما مغاويرنا البواسل فقد جرح منهم 4 وأسر بعضهم.

اقترف نظام صدام حسين الحاكم في العراق في الثاني من اغسطس عام 1990 بعدوانه الغادر على الكويت الآمنة جريمة غير مسبوقة بعدوانيتها وممارستها الوحشية في تاريخ العلاقات العراقية ـ الكويتية، وفي المحاولات السابقة لضم الكويت، بل ان جريمة صدام حسين ـ وهي جريمة العصر الوحشية التي لم يسجل التاريخ لها مثيلا ـ قد فاقت في بشاعتها وظلمها ما اقترفه التتار والمغول والنازيون على مدى التاريخ في انحاء متفرقة من العالم.

كانت احداث الغزو العراقي على الكويت عدوانا قاتلا بكل المقاييس، وربما لم تحفل حادثة تاريخية بالمتناقضات كما حفلت به تلك الاحداث المأساوية المتمثلة في اجتياح القوات العراقية المسلحة بكل اسلحة الدمار الكويت.

ومن الظلم للمحاولات العراقية الطامعة السابقة ان نقارن بها عدوان صدام حسين الآثم فكل الطامعين العراقيين السابقين تصرفوا خلال محاولاتهم بحذر وإدراك للظروف المحيطة، وهو ما افتقر اليه صدام حسين عام 1990، فرغم ما تركته المحاولات السابقة من جراح نفسية لدى الشعب الكويتي لم تلتئم بسهولة، الا انها لم تصل حد العدوان العسكري على الكويت وتقويض كيانها والاعتداء على شرعيتها وشعبها الآمن.

فم تتوقف فوهات المدافع التي كانت مصوبة نحو ايران، إلا لتتجه الى الجار الشقيق.. الى صدر الكويت.

كان بعض الغدر العراقي صادرا من مقدمات العلاقات بين الطرفين الجارين لم تكن توحي بأي حال من الاحوال بمثل تلك النتيجة المفجعة، لاسيما خلال السنوات القليلة السابقة للعدوان، وتمثل البعض الآخر للغدر في ان العراق لم ينل دعما اقتصاديا خلال صراعه مع ايران فترة الثمانينيات من هذا القرن، كما نال من الكويت، فضلا عن سماح الحكومة الكويتية للجانب العراقي باستخدام موانيها ومياهها الاقليمية لتصدير نفطه خلال الحرب مما عرض سلامة الكويت للخطر.

واول ما ينبغي التسليم به خلال محاولة تحليل العدوان، هو استبعاد كل المعايير الاخلاقية والانسانية والقانونية، فأحداث العدوان منذ بدايتها الى نهايتها افتقرت الى الحد الادنى من البديهيات المسلم بها في عالمنا اليوم في العلاقات بين الدول مهما كانت درجة خلافاتها.

كذلك لابد من استبعاد كل المفردات التي استمرت تحكم العلاقات العربية ـ العربية على امتداد التاريخ المعاصر، وأظهرها عدم تعدي اي دولة على اخرى بالقوة المسلحة محاولة محوها من على الخريطة السياسية فيما سعى اليه صدام حسين.

يضاف الى ذلك ان عدوان صدام حسين على الكويت وان حمل ذات الأطماع التي حملتها المحاولات العراقية السابقة للاستيلاء على الكويت، الا انه حمل معه قدرا كبيرا من معاول الهدم والعدوان الوحشي، مما جعلها غير مسبوقة بأي مقاييس. فلم يقتصر ذلك الدمار والعدوان على المنشآت بل لحق بالانسان وكافة الكائنات الحية والمقدرات الكويتية وأصاب العلاقات العربية ـ العربية في الصميم، الأمر الذي يصعب معه إعادة البناء ويتطلب وقتا طويلا لإعادة الترميم.

(البداية كانت طلبات لا تنتهي ترافقها اتهامات جائرة ترعد بالوعيد والتهديد وهو نهج عراقي مستمر لم ينقطع، حرصت الكويت على مقابلته بذات النهج الدائم المتزن القائم على الحوار الهادئ المعتمد على روح المودة والإخاء، ظنا منها انه امر عارض لابد ان ينتهي باحتوائه).

وكالعادة يقابل العراق روح المودة والإخاء الكويتية بأسلوب الخداع والتسويف فتستمر الزيارات والوفود وتنطلق التصريحات المطمئنة والوعود الكاذبة، وفي الوقت ذاته يستمر فيه الحقد والشر الذي لا ينتهي، والذي تزكيه وتغذيه أحلام الطغاة وأطماعهم التوسعية التي تكشف الحقيقة المرة بوضوح وهي ان مطالب النظام العراقي من الكويت لا تنحصر في المليارات التي قدمتها الكويت لهم، واستمروا يلهثون وراء المزيد، وليست هذا الجزء او ذلك من خطوط الحدود والجزر الكويتية... وإنما المطلوب هو الكيان بأكمله... والتاريخ الكويتي كله وهوية هذا الوطن وكيانه.

فلو كان النزاع محدودا لكان العدوان محدودا منحصرا بمواقع النزاع ومواطن الخلاف، لكن غزوا بهذا الحجم وعدوانا بذلك الغدر والوحشية الذي تطلب حشد جيوش العالم لمواجهته ورده يتبين بجلاء ودون أدنى شك ان الهدف ابتلاع كامل مستمر للأبد.

لقد أدرك ذلك بوضوح كل المحللين لتفسيرات الغزو وأحداثه وتداعياته التي تلاحقت وتضاربت واختلفت بالسرعة ذاتها، حيث بدأت بتبرير الغزو بالادعاء على انه لمساعدة العناصر الوطنية التي تود التخلص من نظام الحكم، وحين لم يجد كويتيا واحدا يستجيب له او يقبل به بديلا عن حكومته الشرعية، فإنه شكل حكومة ادعى انها وطنية وأعلن نيته على الانسحاب، وتختفي الحكومة ولا تظهر، فينتظر العالم الانسحاب، فإذا التعزيزات العسكرية تتدفق لتحتل كل مناطق الكويت.

ثم يكشف النظام العراقي سافرا عن أهدافه الحقيقية ونواياه التوسعية العدوانية بالإعلان عن عودة الفرع الى الأصل، ومحو الهوية الكويتية لوطن حر مستقل ليذوب مندمجا فيما أسماه الغزاة الغاصبون ـ (الأصل).

الأمر الذي يؤكد ان كل المماطلات والمحاكمات التي رصدها المحلل من خلال تصرفات وادعاءات النظام العراقي لم تكن خطوة نحو الحل، وانما كانت استنزافا وخداعا حتى يتم الابتلاع.

وقد استمر اسلوب المماطلة والتسويف والتلاعب بالحقائق والتضارب في المواقف خلال الاحداث التي تلت الغزو، ومع كل الزعماء الذين وفدوا الى بغداد بهدف منع وقوع الكارثة المدمرة.

أجساد الشهداء الطاهرة كانت جسر العبور إلى التحرير وعودة استقلال الوطن وشرعيته

وتعددت المسميات للعمل العسكري الذي شنه نظام صدام حسين على الكويت في الثاني من اغسطس الاسود لعام 1990، فبينما أسماه الجانب العراقي بالضم او عودة الفرع الى الأصل، ارتآه الملتزمون بالتعبيرات المحايدة (غزوا) ثم ان القانونيين اعتبروه (عدوانا) ومهما اختلفت المسميات فإن المعنى واحد هو الاستيلاء على الكيان الكويتي والتهامه.

صمود الشعب

في مقدمة المواقف المشرفة كان موقف شعب الكويت الشجاع صامدا ورافضا للاحتلال، فقد ظل يعمل ليل نهار لخدمة قضيته وتحرير أرضه من الغزاة وعودة شرعيته. وكان إيمانه بربه ويقينه بعدالة قضيته هو سلاحه، فراح يقاوم المحتلين ببسالة ويتصدى لهم، ويرفض التعاون معهم، ويقدم الأرواح رسوخ الكون ورواسيه شامخا في تحديه للغاصبين المعتدين شموخ أعالي الجبال الشاهقة، وقف موقفا قل ان يقفه شعب قبله في مواجهة المحتلين، والتصدي والرفض التام لهم، والتعاون فيما بين افراده والتماسك ووحدة الموقف، فاستحق ان يسجل له التاريخ الموقف بأحرف من نور، واستحق كل التقدير والثناء من العالم أجمع ومن قيادته الشرعية ـ الأمر الذي عبر عنه سمو الأمير الراحل في كلمته الموجهة الى شعبه بتاريخ 1990/8/5 بقوله: «اذا كان العدوان قد تمكن من احتلال أرضنا فإنه لن يتمكن أبدا من الاستيلاء على إرادتنا، عزيمتنا وإرادتنا هما عزيمة وإرادة آبائنا وأجدادنا الذين واجهوا أعتى التحديات، فلم تلن لهم قناة، ولم يخضعوا لأي عدوان، وكويت اليوم هي كويت الأمس أرض العزة والكرامة، بلد الرجال ومنبت الأبطال، ولم تحن رأسها للغزاة، ولا خفضت جبينها للمعتدين، ويشهد التاريخ ان الكويت مرت بمحن كثيرة وآلام جسيمة وتعرضت لاعتداءات وغزوات متعددة على مر الزمن، ولكن بصمود الكويتيين وعزيمتهم وإيمانهم بقيت الكويت حرة أبية مرفوعة الراية عزيزة الجانب طاهرة التراب شامخة الكرامة».(46)

لقد صدقت مقولة «إن المحن تصقل الهمم وإن الشدائد تولد المعجزات» فكان أن ولدت كارثة العدوان لدى الشعب الكويتي البطل أفعالا عظيمة، وفجرت لديه طاقات دفينة مستترة وراء الأرض والاستقرار والرفاه ورغد العيش العزيز الكريم الذي أنعم الله عليه في ظل حكم أبوي عادل ورحيم، ومن رحم المحنة ولد بشر جدد، أشداء على العدو، رحماء بينهم يجابهون التحديات التي تمخضت عن العدوان، ويتصدون لها بالفعل الايجابي، فالصبي تحول الى رجل فعال يؤدي دوره الحيوي في الحياة اليومية لمجتمع المرابطين، فاستطاع ان يكون بديلا للعمالة الوافدة دون ان يكتنفه الإحساس بالتعالي او الدونية تجاه الاعمال والحرف اليدوية المتواضعة ولم تشغله معاناة الحياة اليومية عن دوره في ملحمة المجابهة والتضحية والفداء.

وتفجر الزلزال عن المعدن الأصيل للمرأة الكويتية فهي أخت الرجال وشريكتهم في الكفاح، فأثبتت نساء الكويت بالفعل والسلوك والممارسة انهن يضاهين الرجال في كل فعل وطني بطولي، ويكفيهن فخرا ان ما قدمته من اعمال قد رفع هامة الوطن عاليا، وهل هناك ما هو أعلى من الاستشهاد؟ وهو أبلغ فعل إنساني يمكن ان يقوم به الانسان المسلم في حياته، لذا كانت فتيات الكويت يتسابقن على تقديم كل ما يقودهن الى درب الاستشهاد. وكانت الشهيدة منهن تغبط من أترابها ورفيقاتها في الخلية الفدائية.

ولقد مثل فعل المرابطة بالنسبة للكويتيين رجالا ونساء ـ من الذين أصروا على الصمود في ارض الوطن ـ تجربة نضالية سلمية فريدة، ثرية متميزة بكل ما فيها من تحديات وإصابات ومواقف وإحباطات وتضحيات وبطولات وانتكاسات ومواجع ودموع وأمل وثقة بالله العزيز الحكيم ونصرته وجلاء الظلم وانكسار العدوان.

وانبرى من هؤلاء المرابطين عدد كبير من الرجال والنساء انضوى في صفوف المقاومة الباسلة التي فجرت ملاحم اسطورية في تحدي الغزاة والتصدي لهم بشجاعة منقطعة النظير غير آبهين بطغيان عساكر الشر المدججين بالسلاح، ساعين مصممين على تحرير الوطن مهما كانت التضحيات، سالكين طريق الموت من اجل الوصول الى غايتهم ومبتغاهم الغالي النبيل.

وكان من المرابطين جنود مجهولون تطوعوا لتسيير قطاع الخدمات العامة طوال أشهر المحنة، ولكن لم يكن هؤلاء المتطوعون من الباحثين عن المجد والشهرة ولم يخطر في بالهم اي مطمع دنيوي البتة، وانحصر مطمعهم في رضا الله وتخليص الوطن من محنته بجلاء المحتلين واستقلاله وعودة شرعيته، لذا كانوا يمارسون مهامهم بمنأى عن الأضواء دون إحساس بمنة، فتراهم يسهرون الليل يكابدون المعاناة القمعية من عصابات السلطة المحتلة دون ملل او خشية، وبفضل همة المرابطين وعرقهم وتضحياتهم عاشت الكويت المحتلة دون ان تغيب عنها الخدمات العامة لاسيما الحيوي والضروري منها، فعملية إيصال المياه وتشغيل الكهرباء تولاها المهندسون والتقنيون والإداريون الكويتيون والمصريون العاملون في وزارة الكهرباء والماء، كما قام شباب وشابات كل في منطقته بعمليات النظافة، وقد تكون من المتطوعين والمتطوعات لجان شعبية في كل منطقة تضم فرق عمل ولجانا فرعية منها:

1 ـ لجنة التموين والإعاشة.
2 ـ لجنة التوعية والإعلام.
3 ـ لجنة الصحة العامة.
4 ـ لجنة الجمعية التعاونية.
5 ـ فريق عمل الفرن الآلي.
6 ـ فريق عمل المخابز الشعبية.
7 ـ لجنة الصدقات والزكوات.
8 ـ فريق النظافة.
9 ـ لجنة الخدمات العامة.
10 ـ لجنة الطوارئ.

وضم كل فريق عمل او لجنة فرعية عشرات المتطوعين من الجنسين ومارست المرأة الكويتية دورها بجدارة في أغلب الأنشطة والمجالات.

وهكذا تمكنت اللجان الشعبية من تسيير الخدمات الحياتية اليومية وتواصلت حركة العصيان المدني للاحتلال الغاشم، وحماية الرهائن الأجانب وإخفائهم عن الطغاة رغم معرفتهم بعقوبة عملها التي وصلت الى الإعدام.(47)

العطاء والتضحية

وإذا كنا قد سطرنا خلال الصفحات الماضية جوانب من المواقف المشرفة الشجاعة لفئة عزيزة من فئات الشعب الكويتي الأبي، وهي المجموعة الصامدة على ارض الوطن والتي رفضت وتحت أقسى الظروف وأصعبها الخروج من الوطن وفضلت الموت على ترابه والدفاع عنه مقدمة كبرى التضحيات، فلا بد من إضافة كلمة حق يشار فيها الى المعاني السامية النبيلة والعطاء والتضحية والبذل، كانت هي الصورة للشعب الكويتي بكل فئاته رجالا ونساء، شيبا وشبانا ـ حيثما وجد، في صورة أثارت إعجاب العالم وتقديره، وتأهل بها لنصر العزيز القدير وتأييده، فمع حلول الكارثة وغدر جار السوء واجتياحه للوطن وانتهاكه لشرعيته.. وتوالي أخبار القتل والإرهاب والسلب والنهب، والاعتداء على الأعراض والحرمات التي يمارسها جند الطاغية بخسة، بدأت منذ ذلك الحين مرحلة جديدة من حياة هذا الشعب الطيب المسالم بكل فئاته ونخبة من المقيمين الشرفاء الذين أبوا إلا ان يربطوا مصيرهم بمصيره، وتولدت من الجميع صور رائعة لنماذج نادرة من العطاء والتضحية.

ونحن في هذه السطور نسجل كلمة الحق لفئة من فئات الشعب الكويتي اضطرتها الأقدار والظروف لأن تكون خارج الوطن الحبيب، ولكن آلام البعد وصعوبة العيش خارج الوطن ومعاناتها النفسية الشديدة لما حل بالوطن

معركة معسكرات المباركية

كانت معسكرات المباركية مقر القيادة العامة للجيش لذلك كان العمل يجري على قدم وساق لاسيما في مركز العمليات المشتركة اثناء اجتياح القوات العراقية الحدود الكويتية وبحضور سمو ولي العهد واعضاء الحكومة، التي قررت الدخول في معركة مع العدو الذي اخل بعهوده، وفي تلك الاثناء وصلت القوات الغازية الى المعسكرات فتم تبادل اطلاق النار بين القوات الغازية والقوات الكويتية من الجيش والحرس، وتكبد العدو خسائر في الارواح والاسلحة والمعدات وخاصة جنود المشاة المنقولين في الباصات، وتم أسر 300 فرد من قوات العدو داخل اسوار الكلية الصناعية ومستشفى الصباح وخلال الاشتباكات واصلت القوات العراقية تقدمها وتركت قوة لمشاغلة قوات المعسكر وحرمانها من الخروج ومنع الدخول وظلت الاشتباكات مستمرة بين القوتين ومحاصرة المعسكرات بما فيها مقر القيادة. وفي تمام الساعة 9,30 وصلت قوات فك الحصار عن وزارة الدفاع ورئاسة الاركان وهي بحجم سرية دبابات وسرية مشاة ميكانيكية من اللواء الخامس عشر واخذت مواقع مع القوات الموجودة وامتزجت بها، وبعد تقدير موقف متشرك اشتبكت مع العدو الساعة 1,00 بكل انواع الاسلحة حتى تم اسكات نيران قوات العدو بعد 30 دقيقة من بدء الاشتباك، ثم تم تقدير نوع وحجم قوات العدو ومواقعها خلف اسوار مستشفى الطب الاسلامي ومعهد الاتصالات السلكية واللاسلكية ووضعت خطة للهجوم على هذه القوات وتطهير المنطقة منها.